الباب الرابع

من ٥ اغسطس ١٧٨٩ — ٣٠ سبتمبر ١٧٩٠

الجمعية الوطنية تضع الدستور

الفصل الأول

حقوق الانسان

عاد المجلس الى البحث فى حقوق الانسان وتقريرها وكان من رأى الكونت ميرابو أن لا تقرر الجمعية هذه الحقوق إلا بعد وضع الدستور نهائياً لتكون بمثابة خلاصة لأحكامه. ولكن الجمعية أخذت باقتراح المركيز لافاييت ورأت أن يكون تقريرها سابقاً على وضع الدستور لتكون بمثابة أساس لقواعده وليبقى اعلانها على مدى الدهور صكا تحترمه الحكومات فى علاقاتها مع

الشعب ولقد اكتسبت وثيقة « حقوق الانسان » مركزاً سامياً في جميع البلاد الاوربية وأصبحت في نظر شعوبها نبراساً يهتدى به وعلى أصولها ترتكز اليوم فعلا دساتير الامم الحرة في أوروبا وفي سائر أنحاء العالم .

واليك ترجمة هذه الوثيقة المشهورة (١) :

« أن نواب الشعب الفرنسى المجتمعين في هيئة جمعية وطنية لما رأوا أن ما ينزل بالمجتمع الانسانى من المصائب والشقاء وفساد الحكومات يرجع الى سبب واحد وهو جهل حقوق الانسان أو تجاهلها أو العبث بها . قد قرروا ان يصدروا اعلاناً عاماً ببيان حقوق الانسان الطبيعية المقدّسة التى لا يصح أن تمتد اليها يد العبث والمساومة وذلك ليكون هذا الاعلان راسخاً في أذهان بنى الانسان يذكرهم على الدوام بحقوقهم وواجباتهم ولتحترم أعمال السلطة التنفيذية المنطبقة على الأغراض التى يصبو اليها المجتمع الانسانى ولتكون مطالبة الناس بحقوقهم مؤسسة من الآن على مبادىء واضحة لا نزاع فيها ولا جدال فيكون قوام هذه الحقوق صيانة الدستور وضمانة سعادة المجموع .

---

(١) الجمعيات الوطنية (للرافعى)

لذلك تعلن الجمعية الوطنية بعناية الله العلى الأعلى الحقوق الآتية للانسان :

(١) يولد الناس ويعيشون أحراراً متساوين فى الحقوق لا تمييز ولا تفاضل بينهم الا فيما تقتضيه المصلحة العامة .

(٢) الغاية من كل مجتمع انسانى صيانة الحقوق الطبيعية للانسان . تلك الحقوق التى لا تزول مهما تقادم عليها الزمان وتعاقب الجديدان وهى الحرية والملكية وطمأنينة النفس ومقاومة الاضطهاد .

(٣) كل سلطة مصدرها الشعب وحده ولا يحق لأى فرد أو أية جماعة أن يأمروا أو ينهوا الا اذا استمدوا السلطة من الشعب .

(٤) الحرية تنحصر فى امكان عمل كل ما لا يضر بالغير . فلكل امرىء أن يتمتع بحقوقه الطبيعية فى الدائرة التى لا تؤذى تمتع الناس بتلك الحقوق وتحديد هذه الدائرة موكول الى القانون .

(٥) ليس للقانون أن يحظر على الناس من الأعمال الا ما يعود بالضرر على المجتمع وكل ما لا يمنعه القانون مباح ولا يحق اكراه امرىء على عمل لا يحتمه القانون .

(٦) ان القانون هو مظهر الارادة العامة للامة ولأهل البلاد جميعاً الحق فى أن يشتركوا فى وضعه بأنفسهم أو بواسطة نوابهم

والقانون واحد بالنسبة للجميع سواء أكان مانحاً أم مانعاً حامياً أم معذراً والناس سواء أمام المراتب والوظائف العامة لا تفاضل بينهم الا فى اختلاف كفاءتهم ولا تمييز الا فيما تقتضيه فضائلهم ومواهبهم .

(٧) لا يصح اتهام انسان أو حبسه أو القبض عليه الا فى الأحوال المبينة فى القانون بشرط اتباع اجراءاته وكل من ينفذ أمراً استبدادياً مخالفاً للقوانين أو يأمر به أو يوعز بتنفيذه يستحق العقاب وعلى كل انسان يستدعى أو يقبض عليه طبقاً للقانون أن يطيع حالا واذا عصى أو قاوم يستوجب العقاب .

(٨) لا يصح أن يحتوى القانون الا العقوبات التى تستلزمها الحاجة الاجتماعية. ولا يصح عقاب انسان الا بمقتضى قانون صدر ونشر قبل ارتكاب العمل .

(٩) مفروض ان كل انسان برىء حتى تثبت ادانته واذا دعت الضرورة للقبض على امرىء قبل التحقق من ادانته فكل شدة تستعمل معه دون أن يدعو اليها التأكد من بقائه رهن السلطة تستوجب العقاب الشديد .

(١٠) لا يؤذى الانسان بسبب آرائه ولو كانت دينية ما دام التصريح بها لا يضر بالنظام العام الذى يقرره القانون .

(١١) حرية الجهر بالآراء والأفكار من حقوق الانسان المقدسة . فلكل امرىء أن يتكلم ويكتب ويطبع بملء الحرية بشرط أن لا يسيء استعمال هذه الحرية فى الاحوال التى يبينها القانون .

(١٢) ان ضمان تمتع الناس بحقوقهم يستوجب ايجاد سلطة عمومية فهذه السلطة منشأة لمصلحة المجموع لا لمصلحة من يوكل اليهم ادارتها .

(١٣) لبقاء هذه السلطة العمومية ولادارة الحكومة عموماً يجب جباية الضرائب العامة وهذه الضرائب يجب توزيعها بالسواء بين الأفراد كل بحسب طاقته .

(١٤) لأهل البلاد جميعاً الحق فى أن يقرروا بأنفسهم أو بواسطة نوابهم الضرائب التى تستلزمها المصلحة العامة . وتقريرها يكون بملء الحرية ولهم أن يحددوها ويحددوا قواعد ربطها وطريقة جبايتها ومدتها وطريقة انفاقها .

(١٥) للهيئة الاجتماعية أن تحاسب كل موظف عمومى وتراقبه فى أعمال وظيفته .

(١٦) كل هيئة اجتماعية لا ضمانة فيها لحقوق الانسان ولا فصل فيها بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية تعتبر

محرومة من الدستور.

(١٧) من حيث أن الملكية حق مقدس لا يصح العبث به فلا يحل حرمان أحد من ملكه الا اذا اقتضت ذلك المصلحة العامة طبقاً لنصوص القوانين وفى هذه الحالة يجب تعويض المالك عن ملكه.

obeikandl.com

الفصل الثانى

الدستور

بعد أن فرغت الجمعية من اعلان حقوق الانسان أخذت تتناقش فى مواد الدستور الذى قدمته اليها لجنة كانت قد كلفت بوضع مشروع لذلك .

وكانت أول نقطة ثار حولها النزاع ما عرضته اللجنة من جعل السلطة التشريعية فى يد مجلسين : مجلس للنواب تنتخبه الامة ، ومجلس للشيوخ يكون للملك حق تعيين مائتين من أعضائه . ولكن اتفقت الكلمة أخيراً على أن تكون السلطة التشريعية فى يد مجلس واحد تنتخبه الامة .

ثم جاءت مشكلة علاقة الملك بهذه الهيئة التشريعية . وكان مشروع اللجنة يقضى بأن يجعل للملك الحق فى أن يمتنع عن الموافقة على أى قانون تعرضه الهيئة فيقف بذلك نفاذه ولكن ثار لذلك حزب اليسار وهو حزب الثورة وكبر عليه أن يرى مصالح ٢٥ مليوناً من الانفس تترك تحت رحمة رجل واحد وكان دوق أورليان

يعمل خارج المجلس كذلك على إحباط هذا الرأى وتضييع هذا الحق على الملك . فكان يعلم الناس أن يقولوا (à bas le Veto) — « ليسقط الفيتو » — وهم يكررون ذلك خلفه وأغلب ظنهم أن هذا (الفيتو) الذى يهتفون بسقوطه هو نوع جديد من الضرائب ولا يعلمون أنه حق الملك فى رفض القوانين ! .

وأخيراً قرر قرار الجمعية على أن يمنح الملك هذا الحق مع تقييده بشروط تجعل الكلمة النهائية فى اصدار القوانين للامة نفسها ولو كان الملك معارضاً لها (١) .

وبذلك أصبحت الجمعية التشريعية فى الدستور الجديد تملك حق عرض القوانين وسنها وتقرير الضرائب ووضع الميزانية ومراقبة أعمال الادارة . وأصبح لها كذلك حق اعلان الحرب وعقد الصلح بناء على طلب الملك وأن تحاكم الوزراء وكبار الموظفين أمام محكمتها

(١) « حق الفيتو »

تعرض القوانين على الملك ولا بد من موافقته عليها لتكون نافذة . فاذا عرض عليه قانون ولم يرد الموافقة عليه لم ينفذ ولكن يكون للمجلس حق فى أن يعرضه عليه مرة أخرى بعد مضى سنتين . فاذا بقى الملك على رأيه لم ينفذ أيضا . ولكن اذا عرضه المجلس للمرة الثالثة بعد سنتين أخريين فلا عبرة برأى الملك ولا بد من نفاذ القانون سواء أوافق عليه الملك أم لم يوافق

العليا وأن تحاكم أمام هيئتها كل شخص متهم بالتآمر على سلامة المملكة . أو على الدستور. وجعلت لنفسها كذلك الحق فى تنظيم طريقة منح الرتب والنياشين على قاعدة مكافأة الأفراد على الخدمات التى يؤدونها للمجموع .

obeikandl.com

الفصل الثالث

يوم ٥ و ٦ أكتوبر

مظاهرة النساء

وبينما كانت الجمعية جادة فى نظر هذا الدستور ومناقشة نصوصه وتقرير مبادئه كان لا يزال عمال السوء يثيرون الفتن والقلاقل وينفثون سمومهم فى صدور الشعب الساذج سواء أكان ذلك فى باريس نفسها أم فى الأقاليم . وكان على رأس هؤلاء دائماً دوق أورليان الذى ما برح يتطلع للعرش . وكانت خطة انصاره ترمى الى التخلص من الملك بأحد أمرين : إما قتله والفراغ من أمره مرة واحدة ، وإما إرهابه وحمله بذلك على الفرار من فرنسا ليخلو الطريق أمام الدوق . ولكن لويس لم يرض أن يترك عرشه لابن عمه لقمة سائغة يزدردها بهذه السهولة فلبث الدوق يتربص حتى تحين له فرصة مناسبة لتحقيق أغراضه ... ...

... ...

وكان الملك يقيم فى قصره بفرساى جرياً على عادة الملوك منذ انتقل لويس الرابع عشر من باريس الى تلك الضاحية سنة ١٦٨٩

أى قبل الفترة التى ندرسها بقرن كامل . فكان أهل باريس يظنون أن بقاء الملك بعيدا عن عاصمة ملكه يجعله غريبا عنها نوعا ما . فهو لذلك لا يعطف على أهلها ولا يفتأ رجاله يدبرون دسائسهم لخصومهم فيها وهم فى مأمن من رقابتها .

وحدث أن أسعار الغلال والخبز ارتفعت ارتفاعا باهظا فى المدينة تبعا لضعف المحصول فى ذلك العام . فضج الناس بالشكوى وألهب خواطرهم ما كان يروجه أعداء الملك والملكة عن عيشة البذخ التى كانا يعيشانها فى فرساى . فاتجهت انظار الشعب الى تلك الضاحية .

وأخيرا حدث أن الملك استدعى فرقة (الفلاندرز) لتعزيز قوة الحرس فى قصره وليقوم بواجب الدفاع عن نفسه إزاء ما تظهره الأحزاب المتطرفة فى باريس من روح التمرد فزاد ذلك فى مخاوف الناس وراجت الإشاعة بان البلاط يعد حملة منظمة للقضاء على الثورة ورجالها . وكانت كل الظواهر تؤيد ذلك . فان ضباط الحرس أقاموا وليمة فاخرة لرجال الفرقة الجديدة و بالغ البلاط فى تكريمهم والحفاوة بهم . فسمح لهم باقامة الحفلة فى مسرح القصر الذى لم تكن تقام فيه إلا أخص حفلات الملك . كما سمح لهم بفرقة الموسيقى الملكية للمرة الأولى فى تاريخ حفلات الحرس وكان الضباط

أثناء الوليمة يشربون نخب الملك والأسرة المالكة . ولم يجر نخب الأمة على لسان واحد منهم طول السهرة . وعند منتصف الليل دخل الملك عليهم فى لباس الصيد والملكة مستندة اليه باحدى ذراعيها وولى العهد على ذراعها الأخرى فتعالى الهتاف من كل جانب وشرب الجميع نخب الأسرة المالكة من جديد وانصرف الملك عقب ذلك وبدأت عربدة الضباط فرموا بشارة الثورة المثلثة الألوان الى الأرض ووطئوها بأقدامهم ثم انسلوا الى حجرات القصر حيث تلقاهم نساء البلاط بالتهانى وغمرنهم بشرائط الحرير وشارات الشرف (١) !

وأعيدت هذه الحفلة بفخامتها وزينتها مرة أخرى فى الثالث من شهر أكتوبر . وما كان أغنى الملك عن مثل هذه الحفلات فانه أراد أن يلقى بها الرعب فى قلوب الباريسيين فلم يزد على ان أشعل بها حماستهم وضاعف بها سوء ظنهم ، وأراد أن يدفع بها مطامع باريس عن فرساى فلم يزد على أن جعل فرساى بها نصب عين باريس وما بلغت هذا الحفلات باريس حتى اضطربت لها النفوس وبات الناس ولاحديث لهم الا افساد هذه التدابير التى تبيت لهم فى فرساى .

(١) (Carlyle) Fr. Rev.

وحدث أخيرا (٥ أكتوبر) أن بلغت أزمة الخبز أشدها فى باريس فاقتحمت فتاة صغيرة أحد المخافر وتناولت منه طبلا وخرجت عدوا فى الطرقات تضرب به وهى تصيح « الخبز ! الخبز » فاحاط بها فى مثل لمح البصر جماعة من النساء . وتقدم الجميع الى المحافظة وهن يزددن عددا فى كل خطوة . فدخلنها رغم حراسها وهن يصحن فى طلب الخبز والسلاح . ثم كسرن الأبواب وتسلحن بما أصابت أيديهن فى المخازن وخرجن قاصدات فرساى وقد حاول لافاييت أن يحول دون ذهابهن ولكن ذهبت جهوده أدراج الرياح وانطلق النسوة فى طريقهن وكان ذلك حوالى الساعة السابعة مساء .

فلما بلغن قصر فرساى كانت السماء مكفهرة تنذر بالمطر الغزير وكان الظلام قد خيم على الضاحية واضطرب رجال الحرس لمقدمهن وأسرعوا الى سلاحهم ولكنهم وقفوا فى أماكنهم استعدادا للدفاع ولم تكن تبغى النسوة على كل حال أكثر من أن يعرضن على الملك شكاياتهن . غير أنه لم يكن من السهل أن يجتمع الغريمان فى ساحة واحدة ثم يتفرقا من غير احتكاك أو قتل . وقد وقع احتكاك بالفعل واشتبك الفريقان . ولكن ماقاسته المتظاهرات من عناء الطريق ورداءة الجو وهطول المطر جنح بهن الى السلم . وأخيرا أقبل

لافاييت بجنوده فعاد الهدوء وخيم السلام وانصرفت جموع النساء خارج القصر . وذهب أفراد الأسرة المالكة الى مضاجعهم حوالى الساعة الثانية صباحا . وظل لافاييت يطوف بالقصر و بمن نام حوله من المتظاهرات حتى كانت الساعة الخامسة صباحا ثم انصرف بدوره ليأخذ قسطه من الراحة والنوم

ولكن هب فى صباح اليوم التالى بعض المتظاهرين من نومهم حوالى الساعة السادسة صباحا فلمحوا بابا مفتوحا من أبواب القصر فانسلوا منه الى الداخل وأبصروا أحد رجال الحرس فى نافذة من النوافذ فأخذوا يتفكهون بسببه . فدفعته حماقته الى أن يطلق عليهم النار فجرح واحد منهم فهجموا عليه وعلى من معه و بدأت المعركة التى لم يكن بد من وقوعها وقد وقف العدوان وجها لوجه . وأوغل المتظاهرون فى أجنحة القصر حتى بلغوا غرفة الملكة فلم يجدوها بها فصبوا غضبهم على فراشها وأثخنوه طعنا وتمزيقا وكادوا يصلون الى الملكة نفسها لولا أنها أنذرت قبل ذلك بقليل ففرت الى غرفة الملك وليس عليها من الثياب ما يكاد يسترها .

وبلغت هذه الأنباء لافاييت فأسرع على ظهر جواده الى القصر ففرق المتظاهرين . وأنقذ رجال القصر من أيديهم . ولكن وقف الناس تحت شرفة الملك يصيحون به و ينادونه

لافاييت

(Le Roi à Paris ! Le Roi à Paris !) نريد الملك بباريس فأشرف عليهم وهز لهم رأسه بالموافقة فهتفوا له . وأصرت الملكة على أن تصحبه فرأى لافاييت ماسيتهدد الرحلة من الخطر اذا لم ينشأ جو من التفاهم الحسن بين الشعب والملكة كذلك فدخل عليها وطلب أن تخرج معه الى الشرفة ففعلت . فلوح لافاييت بيده الى المتظاهرين ثم أمسك يد الملكة ورفعها الى شفتيه بالاحترام فهتف لهما الشعب . ثم تقدم لافاييت أخيرا الى أحد رجال الحرس ونزع الشارة المثلثة التي كانت في قبعته هو ووضعها على رأس زميله ثم عانقه أمام الجماهير فهتفوا بصوت واحد : « ليحيى الحرس »

وهكذا انتهت بفضل لافاييت حوادث هذين اليومين التاريخيين على أحسن وجه ممكن من التفاهم والوئام (١)

وأخذ الناس ينسلون بعد ذلك الى باريس وهم ينشدون اناشيد الظفر والنجاح ويبشرون كل من يلقاهم بأنه لاخوف على باريس بعد اليوم من الغلاء لأنهم (أتوا بالخباز والخبازة وابن الخباز الصغير) يعنون بذلك الملك والملكة وولي العهد .

وبذلك تحقق نصف برنامج دوق أورليان اذ لم يبق بعد وجود الملك وسط باريس الا ارهابه وحمله على الفرار .

(١) French Revolution. (Mignet.)

الفصل الرابع

فرار الملك

عاد الملك فعلا الى باريس فى السادس من شهر أكتوبر سنة ١٧٨٩ وتبعته الجمعية الوطنية وأصبحت تعقد اجتماعاتها فى العاصمة وسط الشعب الباريسى الذى كان يعكر عليها صفو اجتماعاتها وهى بعيدة عنه فى فرساى . ولكن اشتهار أمر دوق أورليان وافتضاح دسائسه كانا سبباً فى أنه أرغم على ترك البلاد فغادرها بأمر الملك الى انجلترا حيث أقام حتى سنة ١٧٩١ وقر ثائر الشعب نوعاً من بعده على أن هذا الهدوء لم يتعد الظاهر إذ انصرفت جهود الشعب فى هذه الفترة الى تأليف الأندية والأحزاب وكان فى مقدمة هذه الهيئات الجديدة حزب (اليعقوبيين) وهم جماعة المتطرفين الذين كانوا يعادون الملك ويريدون القضاء على نفوذه وكانوا يعقدون اجتماعاتهم فى دار قديمة اتخذوها ناديا لهم بعد أن كانت فى الأصل لطائفة دينية تعرف باسم (اليعاقبة) (Jacobins) فانتحلوا لانفسهم هذا الاسم وورثوه عن أصحابه الأولين . وكان هذا الحزب كلما ازداد توسعه وكثر أفراده وانتشرت

فروعه تطرفت مبادئه وتهورت ميوله . وكان ذلك سبباً فى أن ينفصل عنه بعض أعضائه الاول الذين اشتركوا فى تأسيسه أمثال لافايت وسيايس ممن لم يروا مجاراته لهذا التطور الأحمق العنيف وقاموا بتأسيس ناد آخر خاص بهم . كذلك تألف حزب جديد للاشراف ورجال الدين جرياً على ما قامت به الهيئات الأخرى ولكنهم ظلوا يغيرون اسمه ويبدلونه حتى صدر أمر البلدية أخيراً باغلاقه لأنه أصبح مقلقاً للامن مخلا بالنظام .

وبينما كانت هيئات الأمة جادة فى تنظيم شئونها على هذا المنوال كانت الجمعية جادة فى وضع الدستور ومناقشة نصوصه .

أما الملك فانه منذ عودته الى باريس كان على بصيرة بحقيقة موقفه ولم يكن يخفى عليه أنه سجين مقيد فى تلك العاصمة الواسعة وانه كان رهينة فى ايدى الثوار يضمنون بها اجابة مطالبهم . فأقلقه هذا المصير وأخذ يفكر فى الاستعانة بزعيم من زعماء الاصلاح المعتدلين يكون له من النفوذ عند الشعب ما يمكنه من قيادته واقناعه ويكون له من المنزلة عند البلاط ما يجعله محل ثقته وموضع اعتماده . ورأى الملك أن هذه الصفات كلها متوفرة فى شخصية ميرابو الذى يكاد يعبده الشعب ويكاد البلاط يعتبره من رجاله . وكان ميرابو كما علمت ابناً لاحد الأشراف ولكنه فى بدء شبابه

ميرابو

وقع بينـه وبين والده شقاق بسبب سلوكه الشخصى وانهما كه فى الدين وافراطه فى الملذات فهجر أهله وبلاده وسافر الى هولندا ثم غادرها الى انجلترا ثم عاد الى فرنسا وشاهد الثورة ينفجر فجرها. فانضم الى جانب الشعب والتف حوله العامة وامتاز بمقدرته الهائلة فى الخطابة فكان بين زعماء الثورة أسحرهم بياناً وأقواهم لساناً . وكان الميدان ميدان فصاحة وحسن بيان فلم يلبث أن ملك قلوب الناس وتفوق على غيره من الزعماء وأصبح رجل الساعة وزعيم الجماعة وما زال كل يوم يمر من أيام الثورة يضيف موقفاً مجيداً جديداً الى مواقفه المجيدة السابقة حتى جمح جواد الثورة . وطم سيلها وامتدت يدها الطائشة الى الملك فأرغم على مغادرة فرساى الى باريس فرأى ميرابو مع زملائه المعتدلين أن الثورة يجب أن تقف عند هـذا الحد وان كل خطوة جديدة يخطوها الثوار ستقترب بهم من هوة الفوضى التى لا صلاح لاحد فيها . وأن الملـكية يجب أن تبقى رمزاً للسلطة ما دامت الامة وصلت الى مطالبها الدستورية التى كانت تنشدها ، وبذلك اتفقت غايته مع غاية الملك ووقعت بين الرجلين مكاتبات سرية انتهت بتراضى الفريقين فى مايو سنة ١٧٩٠ على أن يدفع الملك لميرابو (٦٠٠٠) فرنكا كل شهر ويتولى تسديد جميع ديونه البالغ قدرها (٢٠٠) ألف فرنك فى نظير أن يتعهـد

ميرابو بأن يدافع عن الملك ويطلعه على مجرى الحوادث ويمده بارشاده ونصحه .

ولقد وفق ذلك البطل الى تقديم أغلى النصائح الى الملك فحذره من الاخذ بفكرة الفرار قائلا أن ذلك يكون منه بمثابة إعلان للحرب على الامة ونزول عن العرش . ونصحه بأن لا يعتمد على الاشراف مطلقاً فى تحسين موقفه وتاييد مركزه وأبدى له عدم ارتياحه لاقامته فى باريس وسط الفوضى والاضطراب وأوصاه بأن يخرج من قصره جهاراً نهاراً وأن يسير فى وسط جنده الى مدينة كمدينة (روان) وأن يصدر للامة قبل ذلك بلاغا يقول لها فيه أنه يلقى بنفسه بين أحضانها وأنه قد أسىء اليه فى فرساى وأنه اضطهد ووقع تحت الرقابة فى باريس . وأنه يخشى أن يكون هذا الموقف سبباً فى خروج بعض الناس على طاعة الجمعية وأنه كان أول ملك بفرنسا أعاد الى الشعب كافة حقوقه وأنه خالف فى ذلك رأى وزرائه وأنصاره وأنه وافق على قرارات الجمعية الوطنية . وأنه على استعداد أن يضحى بكل شىء فى سبيل تحسين مركز البلاد المالى ويرضى أن يعيش عيشة أى فرد عادى من أفراد الأمة بما تخصصه له الحكومة من المال القليل وأنه سوف يدعو الجمعية الوطنية اليه خارج باريس حتى اذا فرغت من

عملها أصـدر أمراً بدعوة مؤتمر جديد لاعادة النظر فى قراراتها والموافقة عليها . وأنه يرجو أن تحكم الامة على اخلاصه بما رأت من ماضيه وأنه يريد أن يملك رعيته لا بسلاحه ولكن باحسانه وأنه يعتمد فيما يختص بسلامته وشرفه على ولاء الشعب الفرنسى له(١)

وقد قدر ميرابو أن الملك اذا أخذ بهذه الآراء فلا بد أن تنفرج الأزمة على أحسن صورة . غير أن استسلام الملك لزوجته وأعوانها وأخذه بارشادهم دون نصح ميرابو أفسدا على الرجل رأيه الحكيم وكانت الملكة قد دبرت مشروعاً آخر للخلاص وهو يتلخص فى مغادرة البلاد ليلا والسير الى الحدود الشرقية حيث يكون المسيو بوييه (Bouillé) حاكم متز على استعداد بجنوده للقائهم . ومن ثم يعبرون الحدود وينضمون الى المهاجرين من أشرافهم وأمرائهم ويلتمسون المعونة من حكومات الدول الأوربية الأخرى لغزو فرنسا واعادة الحكم الملكى فيها من جديد .

وفى هذه الساعة الرهيبة التى كانت فرنسا أحوج ما تكون فيها الى ميرابو شاء القضاء أن يموت ذلك الرجل العظيم وأن ينطفىء بموته آخر بصيص من نور الامل فى التوفيق بين الملك وشعبه . وانهارت بموته عزيمة الملك ولم يبق أمامه الا أن يعود الى رأى

(١) Readings in European History. (Robinson)

زوجتـه ويقبـل الدخول فى تلك المغـامرة الخطرة التى كانت تدفعه اليها .

وفى مساء ٢٠ يونيه سنة ١٧٩١ خرج أفراد الأسرة المالكة واحداً واحداً متخفين بحيث لم ينتبـه اليهم أحد من الحرس . والتقوا فى طريق قريب من القصر كانت فيـه عربة بانتظارهم . وولوا وجوههم شـطر متز . وكان دوق بروفانس شقيق الملك قد خرج فى نفس ذلك اليوم وركب طريقاً آخر فوصل سالماً الى بلجيكا . أما لويس التعس فانه كان أقل منه توفيقاً . بل أنه كان أشد الناس خيبة ونحساً فانه بعد أن وصل سالماً الى (فارين) القريبـة من فردان حيث كان مقرراً أن يستبدل جياد مركبته وقف ينتظر فى ناحية من البلدة والخيل تنتظره فى الناحية الأخرى وكأنه اطمأن لمرور يوم على خروجه من باريس ولأنه أصبح بعيداً بضعة فراسخ عنها فتهاون فى أمر تحجبه وقضى سوء الطالع أن يلمحه انسان من أهل تلك الناحيـة فعرفه ونم عليه وما لبث أن هرع الناس اليه وأحاطوا به ثم أرغموه على العودة الى باريس ! .

واليك ما كتبه أحد الصحفيين المشهورين فى ذلك الوقت فى صحيفة يصف ما فعله أهل باريس عند سماعهم لهذا الحادث الخطير :

« كانت الساعة العاشرة قبل أن تطلق محافظة باريس المدافع اخطاراً للناس بوقوع هذا الحادث الهام . ولكن الناس قبل ذلك بنحو ثلاث ساعات لم يكن لهم من شاغل غير هذا الخبر . فكان حديثه يسرى فى المدينة سريان الكهرباء . وتجرى به الالسن فى كل مكان ... « راح الملك ! فر الملك ! » .

وساد القلق على النفوس فكانت تهرع الجماهير الى قصر التويلرى لتتحقق بنفسها من صحة الخبر ثم لا تلبث أن ترتد الى قاعة الجمعية الوطنية حيث الاعضاء مجتمعون وهم يصرحون للشعب بأن الملك عندهم فى القاعة . وأنه حر يذهب حيث يشاء !

ثم تطلع الناس الى زيارة مساكن الاسرة المالكة بعد اخلائها . فذهبنا اليها وطفنا بها وكنا نسأل الحرس : « كيف أمكنه الهرب ؟ والى أين ذهب ؟ وهل من الممكن أن تفلت هذه الجثة الملكية الضخمة تحت عيونكم ولا ترونها ؟ انكم لابد تعلمون بهربه ورؤساؤكم لا بد متواطئون معه عليه » فكان الحراس لا يجيبون على ذلك بكلمة .

وكان حرياً بالشعب أن يهتاج ويأتى من أعمال العنف مايتفق مع هياجه ولكن غلبت على الناس روح الفكاهة والاستهزاء فاكتفوا بأن حملوا صورة الملك وعلقوها على باب القصر . وحملت إحدى

بائعات الفاكهة فراش الملكة ووضعت فوقه مامعها من الكريز وهى تقول« لقد جاء الآن دور الأمة فى النعيم ». ووضعت قبعة الملكة على رأس فتاة صغيرة فخلعتها بإباء وألقتها على الأرض وداستها بقدمها بكل ازدراء واحتقار. وسار النساء فى المدينة يجادلن الرجال ويصرحن بأنهن سيقمن على حراسة أبواب المدينة قائلات: «أن النسوة هن اللواتى جئن بالملك الى باريس والرجال هم الذين ضيعوه!».

ولكن مهلا أيتها السيدات وعلى رسلكن. فان هديتكن لباريس لم تكن مما يفخر به الانسان! اه (١).

* * *

وكانت الروح السائدة هى روح الكراهية للملوك عامة والاحتقار للويس السادس عشر خاصة. فحطمت تماثيله فى الميادين وكسرت عند الباعة وكانت تمحى كلمات « ملك». « وملكة » « وملكى ». « وبوربون ». « ولويس ». « وبلاط » من كل مانقشت عليه سواء فى ذلك الصور والالواح والحوانيت والمخازن

(١) Readings in European History. (Robinson.)

الفصل الخامس

بعد الفرار — قرار بلنتز

اختلفت الآراء فى مصير الملك بعد عودته . فأما الجمعية فقررت ايقافه مؤقتا حتى يتم وضع الدستور فيقدم له ليقسم على احترامه وطاعته ثم تبدأ فرنسا اذذاك عهدا جديدا ولكن هذا القرار لم يعجب الاعضاء الملكيين فى الجمعية فاحتجوا عليه وانسحب منهم نحو مائتين فلم يحضروا الاجتماعات . وأما المتطرفون من اليعاقبة فقد أعلنوا أن الملك تخلى عن العرش بمحاولته ترك البلاد وأنه لابد من اقامة حكومة جمهورية يتولى الشعب أمرها . أو على الاقل لابد من أقامة ملك آخر .

وأشفق أنصار الدستور من المعتدلين وهم أغلبية المجلس ان ينجح الجمهوريون فى دعوتهم فتضيع جهودهم التى بذلوها عامين متواليين فى وضع الدستور فأجمعوا أمرهم على مقاومة هذه الدعوة وأنصارها أمثال روبسبير و بتيون (Petion) وبريسو (Brissot) ومارا . ولكن روبسبير أفلح فى التأثير على الشعب وتهييجه على رجال الجمعية . فقامت مظاهرة عظيمة تنادى بسقوط الملك

والملكية (١٧ يوليه سنة ١٧٩٠) فى حى « الشان دى مارس » فاعترضها الحرس الوطنى وأصدر لافاييت أمره باطلاق النار على المتظاهرين فخر منهم نحو مائتين ما بين قتيل وجريح وأسفر الميدان عن تفرق الجمهوريين وانهزامهم . ولكن هذا النصر الذى أحرزه لافاييت كان قاضيا على سمعته فلم تقم له من بعده قائمة على الرغم من محاولاته الكثيرة لتبرير عمله .

ولعلك تتبين من القطعة التالية التى كتبها مارا فى صحيفته — « صديق الشعب » — روح العداء التى كان يحملها الجمهوريون للمعتدلين والملكيين من أعضاء الجمعية :

« واها لسذاجتكم أيها الباريسيون ! أيمكن أن يخدعكم أولئك المنافقون الى هذا الحد ؟ ألا ترونهم يقتلون المخلصين منكم تمهيدا للقضاء على أنديتكم وفض أحزابكم ؟ ألا ترونهم يموتون بالتهييج كل من يرتفع له صوت بالاحتجاج على فعالهم ؟ لقد أصبح الجهاد السلمى فى نظرهم ثورة وأصبحت أصوات الاستفظاع والتظلم عندهم اجراما وتهييجا !

ألا أيها المشرعون الأسافل والأدنياء الأراذل . وأيها الأبالسة الذين يأكلون فى بطونهم الذهب والدم . لقد ظننتم أنكم تلقون الرعب فى قلوب الكتاب من الوطنيين وتشلون أقلامهم بصرامة

عقوباتكم . خاب فألكم ! لقد علمتم كيف ضاعت سدى كل محاولاتكم فى النيل من « صديق الشعب » . ولو أنه وفق يوماما الى جمع ألفين يسيرون خلفه لتأييده اذن لتقدمهم وسار بهم الى « موتييه » الجهنمى (يعنى لافاييت) فمزق صدره فى وسط فرقة العبيد التى يرأسها . واذن لأحرق الملك وبطانته فى قصره ولوضع من تحتكم خوازيق تزهق عليها أرواحكم ثم لألقاكم فى نار خرائبكم المستعرة التى كنتم تسكنون ! »[1] اه .

ذلك ما كتب مارا . وانى لاعتذر للقارىء على قصور عبارتى عن أداء قوة معانيه البذيئة وعنف حملته الفاحشة . فلقد حاولت نقلها على حقيقتها فلم أوفق الى غير هذه الصورة العربية الفاترة .

ولقد كان فرار الأسرة المالكة والقبض عليهم فى فارين وما لاقوه بعدذلك فى باريس من الأذلال والاضطهاد سببا فى أن يفكر أخو الملكة الامبراطور ليوبولد الثانى فى العمل على تخليص الملك وأسرته ومعارضة الثورة والقائمين بها .

وكانت « حقوق الانسان » ضد المبادىء التى قامت عليها أغلبية حكومات أوروبا الأخرى فكان من صالحها أن تقاوم هذا التيار العنيف . وكان كثير من ملوك أوروبا ينتمون الى أسرة بوربون

(١) Readings in European History. (Robinson.)

التى منها لويس السادس عشر فكانوا يرجون الخلاص له هو وأسرته وكان الثوار قد جاروا على حقوق أمراء بعض الولايات التى تتاخم حدودهم فكانوا لهم بالمرصاد . وانتشر المهاجرون من أشراف فرنسا منبثين فى أنحاء أوروبا فأثاروا خواطر الناس على رجال الثورة فى كل مكان . . . كل هذه العوامل كانت باعثاً على اصدار (قرار بلنتز) الذى أوهم الفرنسيين أنه لابد من وجود صلات سرية بين الملك فى باريس وملوك أوروبا الآخرين فى الخارج . وان هناك مؤامرة دولية على محاربة الثورة فشددوا النكير على الملك وأسرته وزادوهم ارهاقا . وهذه هى صورة قرار بلنتز [1]

« ان صاحبى الجلالة الامبراطور (امبراطور النمسا) وملك بروسيا يصرحان بأن موقف صاحب الجلالة ملك فرنسا الحالى يستدعى اهتمام ملوك أوربا جميعاً وهما لذلك يناشدان بقية الدول معاونتهما فى تمكين ملك فرنسا من تأسيس حكومة ملكية قوية تتفق مع حقوق الملوك وتحقق سعادة الشعب

وقد صدرت الأوامر الى جنود صاحبى الدعوة بأن يكونوا على أهبة الاستعداد للعمل » .

بلنتز فى ١٧ أغسطس سنة ١٧٩١ فردريك وليم ليوبولد

(١) Readings in European History. (Robinson.)

الفصل السادس

اعمال الجمعية الوطنية

كانت الجمعية الوطنية خلال هذه العواصف لاتنفك تجتمع وتتناقش فى مشروع الدستور الذى عنيت بوضعه . والذى كانت تتآمر عليه الأيام بحوادثها فالملك بفراره من جهة . والجمهوريون بمظاهراتهم من جهة أخرى . وملوك أوربا بمؤامراتهم من جهة ثالثة . ولكن ثبات الجمعية كتب لها الفوز على كل هذه العراقيل وكان أخوف ما تخشاه الجمعية أن يتولى مناصب الحكم وتنفيذ الدستور من يستبد بالبلاد بعدها فأخذت تحتاط لذلك بعدة وسائل من بينها ان جعلت مدة العضوية فى الهيئة التشريعية سنتين يتجدد بعدهما المجلس حتى اذا تغيرت روح البلاد وتطورت أفكارها لم يتخلف عنها المجلس بل بقى مسايراً لها متمشياً مع روحها ومنها أيضاً أنها حرمت أن يتجدد انتخاب أحد الاعضاء مرتين متواليتين حتى لا يكون لأحد متسع من الوقت يكفى لتدبير ما يخشى منه على الدستور وحرمت على أعضاء الجمعية

التشريعية أن يدخلوا الوزارة حتى لا تجتمع فى يدهم سلطة التشريع وسلطة التنفيذ عملا بمبدأ فصل السلطات .

ولكى تضرب للبلاد مثلا يحتذى فى التضحية والتفانى فى خدمة الأمة والبعد كل البعد عن الاستئثار بالسلطة قررت أنه لايجوز أن ينتخب فرد من أفرادها ليكون عضوا فى الجمعية التشريعية القادمة .

وليس يخفى عليك ما فى هذه القرارات جميعا من الغلو والاسراف اللذين عكسا على الجمعية الوطنية قصدها وحرم البلاد من جهود رجالها العاملين وكفاءة نوابغها الفطاحل .

وفى أواخر سبتمبر سنة ١٧٩١ انتهت الجمعية من وضع الدستور الذى أخذت على عاتقها وضعه والذى أقسم أعضاؤها فى ملعب التنس أنهم سيوالون اجتماعاتهم حتى يفرغوا منه. ولكن علينا أن لا ننسى ما قامت به الجمعية خلال هذه الفترة من الأعمال الجليلة الأخرى التى لايزال يذكرها التاريخ بالاعجاب . فمن ذلك قرار حقوق الانسان الذى أوردت لك نصه فيما سلف ثم تلك القرارات التى وضعتها الجمعية فى ليلة ٥ أغسطس سنة ١٧٨٩ وفيها ألغيت حقوق الأشراف الوراثية وامتيازاتهم وألقابهم ثم تقرير حرية الصناعة والتجارة بعد ان كانت محتكرة فى يد

بعض الأفرادوالطوائف ثم اهتمامهابشأن التعليم ووضعهاتقريرا عنه ليكون أساس سياسة الحكومةالتعليمية فى المستقبل. وكان هذا التقرير يقضى بجعل التعليم العام مجانيا اجباريا وحقا لكل الفرنسيين على اختلاف أعمارهم مع العناية بالتعليم النسوى.

وكان من أهم ما تم على يد الجمعية أنها توجهت الى تنظيم ادارة البلاد الداخلية فعمدت الى الأقسام الادارية القديمة فألغتها ومحت أسماءها وأعادت تقسيمها الى ٨٣ مقاطعة جديدةأطلقت على كل واحدة منها اسم ظاهرة من ظواهرها الطبيعية المشهورة من نهر أو جبل أو غير ذلك مبالغة منها فى القضاء على كل قديم وفرارا من تلك الأسماء العتيقة التى كانت رمز التفريق وعنوان الانقسام. فبعد نورماندیا وبريتانيا وغاسقونيا. جاءت مقاطعة المارن والفوج والساءون وهكذا.

ولم يكن أقل من ذلك أهمية أقدام الجمعية على اغتصاب أملاك الكنيسة وبيعها. فنزعت تلك الأملاك. وتقرر أن يتولى الشعب تعيين القسس بنفسه وبذلك انقطعت الصلة التى كانت تربط البابا بالكنيسة الفرنسية فغضبت قداسته لهذا العمل الجرىء وأعلن سخطه على تلك القرارات وظل غاضبا حتى تمت اتفاقية الكنكوردا معه سنة ١٨٠١ على يد نابليون

الذى جعل المسيحية دين الدولة الرسمى . ولكى تضمن الجمعية خضوع الكنيسة الفرنسية لهذا النظام المدنى قررت وجوب أن يقسم رجال الدين يمين الاخلاص والطاعة للدستور والا حرموا وظائفهم ووقفوا عن العمل .

وأخيرا فى يوم ٣ سبتمبر سنة ١٧٩١ قدم الدستور الى الملك للموافقة عليه فأصدره فى ١٤ منه وانحلت الجمعية الوطنية فى ٣٠ سبتمبر وانعقدت الجمعية التشريعية فى اليوم التالى أى فى أول أكتوبر سنة ١٧٩١

obeikandl.com